① من تراث المدرسة الأشعرية

أصول
أهل السنة والجماعة
المسماة برسالة أهل الثغر

ويليها
رسالة استحسان الخوض في علم الكلام
وكلاهما للإمام أبي الحسن الأشعرى
(٢٦٠- ٣٢٤هـ)

تحقيـــق
أ.د/ محمد السيد الجليند
أستاذ الفلسفة الإسلامية
كلية دار العلوم - جامعة القاهرة

الناشر
المكتبة الأزهرية للتراث

اصول اهل السنة والجماعة
المسماه برسالة اهل الثغر ويليها
رسالة استحسان الخوض في علم الكلام
محمد السيد الجليند
عقيدة

رقم الايداع : 20741/12
تدمك : 978-977-315-312-0

سنة الطبع
1440 _ 2018

المكتبة الازهرية للتراث

9 درب الاتراك خلف الجامع الازهر الشريف
TEL: +202 25120847
FAX: +202 25128459
E-mail : Almaktabaalazharia9@gmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، ونصلى ونسلم على خير خلقه وخاتم رسله سيدنا محمد الداعى إلى الحق وإلى صراط مستقيم ...

وبعد:

أقدم إلى القارئ الكريم الطبعة الرابعة من هذا المخطوط النادر، وهو «أصول أهل السنة والجماعة» المسماة برسالة أهل الثغر. لكى تضاف إلى أختيها المطبوعتين، وهما رسالة «الإبانة» ورسالة «اللمع» للأشعرى، وبذلك يكتمل أمام القارئ معالم مذهب أبى الحسن الأشعرى، كما صوره فى هذه الرسائل الثلاث، ويعرف مدى قربه من السلف فى أصولهم، فلا يكاد يعثر القارئ على فارق ذى بال بين أصول السلف وما حكاه الأشعرى فى رسالته لأهل الثغر، ومن هنا لا نجد غرابة فى استشهاد السلف أنفسهم بموقف أبى الحسن فى هذه الرسالة على صحة ما يقولون به من أصول، وما يسلكونه من منهج، فعل ذلك ابن تيمية فى كتابه العظيم «درء تعارض العقل والنقل» وهو ما لفت نظرى إلى أهمية هذه الرسالة فى تجلية موقف الإمام الأشعرى من الأصول التى كانت – ولا زالت – مثار خلاف بين المتكلمين إلى اليوم، وفعل

ذلك ابن القيم فى العديد من مؤلفاته كما هو مبين فى موضعه من هذه المقدمة.

ونود أن ننبه هنا إلى أن آراء أبى الحسن فى أصول الدين ومسائل علم الكلام ينبغى أن يقف عليها القارئ من خلال هذه الرسائل الثلاث، وليس من حكاية تلامذته عنه، ذلك أن هذه الرسائل هى التى تعبر عن رأيه بوضوح وصراحة وبدون تأويل لها ولا تفسير بمعانٍ لا تحتملها كلماته.

ولقد سبق أن نشر الدكتور/ حمودة غرابة رسالة اللمع، ونشرت الأستاذة الدكتورة/ فوقية حسين رسالة الإبانة مع تحقيقها تحقيقًا علميًا ممتازًا، ونضيف إلى هذين العملين الجليلين تلك الرسالة النادرة التى قدمنا لها موجزًا عن حياة الأشعرى وموقع هذه الرسالة بين مؤلفاته وصحة نسبتها إليه، مع المقارنة بينها وبين الرسالتين السابقتين الإبانة واللمع من ناحية الموضوع والمنهج، وأشرنا إلى مدى التطابق بينها وبين الرسالتين السابقتين من ناحية الموضوع وإن اختلفت عنهما فى المنهج والأسلوب، وبينا سبب هذا الاختلاف وغايته، ثم أشرنا بكلمة موجزة عن منهجنا فى تحقيقها.

ومن أهم مقاصدنا فى نشر هذه الرسالة أن نوضح للقارئ الكريم خاصة المهتمين منهم بعلم الكلام أن المذهب الأشعرى قد تطور فى مساره التاريخى بحيث ابتعد عن منهج شيخ المذهب ومؤسسه فى كثير من التفصيلات، وازداد قربًا من منهج المعتزلة، خاصة فى تفصيلات المذهب حول قضية الصفات الإلهية، الحسن والقبح، وخلق الأفعال، ورغم أن إمام المذهب صرح فى الإبانة ورسالة أهل الثغر بأنه يقول بمذهب ابن حنبل، ويقول بما كان

يقول به سلف الأمة فى الإيمان بإثبات الصفات بلا تأويل ولا تكييف؛ نجد متأخرى الأشاعرة يتأولون آيات الصفات (فعل ذلك الجوينى، الغزالى، البغدادى، الرازى) [1]. ومعلوم أن الإمام الأشعرى لم يترك لنا مؤلفًا خاصًّا بيَّن فيه صريح آرائه إلا هذه الرسائل الثلاث، وهى التى تبين فيها موقفه من قضايا الأصول بأسلوب صريح لا لبس فيه. ولذلك فأنا أدعو الباحثين عن آراء الإمام الأشعرى وحقيقة مذهبه أن يتلمسوها فى هذه الرسائل؛ لأنها أكثر دلالة على مذهبه من النقول التى نجدها فى مؤلفات تلامذته من بعده.

الأمر الثانى الذى أنبه إليه هو التحفظ فى قبول رواية أن الأشعرى (ظل معتزليًا أربعين سنة من عمره) وقد ناقشنا صحة هذه الرواية فيما بعد خاصة بعد أن تبين لنا أن رسالة أهل الثغر قد أجاب بها الأشعرى على سؤال ورد إليه من أهل الثغر سنة ٢٩٧هـ ومعلوم أن الأشعرى قد ولد سنة ٢٦٠هـ فأين هى الأربعين عامًا التى قضاها الأشعرى معتزليًا؟ ويغلب على الظن أن هذا الإمام لم يكن معتزليًا يومًا ما، وأن الروايات التاريخية حول رؤيته للرسول منامًا، وأن الرسول قد طلب منه مناصرة مذهب السلف. أقول: هذه الرواية يجب أن نتحفظ فى قبولها؛ لأنها تحتاج إلى تمحيص.

وأكثر قبولًا منها تلك المناظرة التى دارت بينه وبين الجبائى حول قضية الصلاح والأصلح، وهى تدل على تمكن الأشعرى من مذهب السلف وكراهيته ورفضه لرأى المعتزلة الذى كان يدين به الجبائى. وهذه الرواية تدل – من وجهة نظرنا – على أن الأشعرى كان رافضًا للاعتزال طول حياته وليس

(١) راجع كتابنا: الإمام ابن تيمية وموقفه من قضية التأويل – الفصل الخاص بموقف الأشاعرة.

أنه كان معتزليًا أربعين عامًا، ثم رجع عن الاعتزال بعد هذه المناظرة.

يضاف إلى ذلك أن الأشعرى لم يترك لنا أى مؤلف يدل على اعتزاله أو صرح فيه بما يقوله المعتزلة، وليس بين يدينا ما يدل على ذلك.

* * * * *

ويحاول بعض الدارسين أن يستدل على رأيه فى القول بأن الأشعرى كان معتزليًا أربعين سنة بأنه ألف رسالة فى استحسان الخوض فى علم الكلام، وهذه الرسالة موضع شك فى نسبتها إلى الأشعرى من حيث الأسلوب والمنهج، وعلى فرض صحة نسبتها إليه[1] وأنا من الذين يتحفظون فى نسبتها إليه فليس فيها ما يشير من قريب أو بعيد إلى أن الرجل كان معتزليًا؛ بل يرد بها على أولئك الذين يحرمون الاشتغال بعلم الكلام بدعوى أن الرسول لم يسلك هذا المسلك ولا سلكه صحابة الرسول من بعده، ويرون الاشتغال به محرمًا؛ لأن الرسول لم يشتغل به، ولم يأمر بالاشتغال به، فنهض الأشعرى ذابًا عن مشروعية الاشتغال بعلم الكلام واستحسانه، ولا ينبغى أن نتخذ سكوت الرسول عن الاشتغال دليلًا على عدم مشروعيته، وقدم الأشعرى أكثر من دليل على أن هناك أمورًا لم يشتغل بها الرسول، ولم يبين فيها حكمًا، واشتغل بها علماء الأمة، وبينوا الحكم الشرعى فيها.

فالرسالة وضعها الأشعرى لإبطال دعوى عدم مشروعية الاشتغال بعلم الكلام وليس لبيان أنه كان معتزليًا.

وما ورد فى الرسالة من استعماله لبعض المصطلحات وأقوال المعتزلة لا

(١) انظر ما كتبه عنها: د/ عبد الرحمن بدوى فى مذاهب الإسلاميين ١/٥١٨- ٥٢٠.

يعتبر دليلًا على أن الأشعرى كان معتزليًا وإنما لبيان أن أكثر المصطلحات الكلامية بعدًا عن المصطلح الشرعى ليس فى الشرع ما يحرم الاشتغال بها، فضلًا عن قربها إلى روح الشرع مما هو موجود فى مؤلفات المتكلمين.

وقد فضلت أن تطبع رسالة (استحسان الخوض فى علم الكلام) ملحقة بهذه الرسالة ليتأمل القارئ أن إيراد الأشعرى لمصطلحات المتكلمين فيها لا يدل على أنه كان معتزليًا، ولا أنه يقول بها، أو يدعو إليها.

ولذلك فإننا نتحفظ فى قبول دعوى أن الرجل كان معتزليًا أربعين سنة، ثم رجع إلى مذهب السلف.

ونرى – والله أعلم – أن الأشعرى لم يكن يومًا ما معتزليًا رغم أنه كان يعيش فى كنف إمام المعتزلة الجبائى، وأرى أنه من الفطنة أن يتنبه الباحثون إلى الطبيعة البشرية وأثرها فى نشأة الأشعرى فى بيت يحكمه ويتولى شئونه زوج أمه الجبائى، وكيف تكون العلاقة بينهما.

قضية أخرى أشير إليها فى هذا التقديم، تتلخص فى أن قضايا علم الكلام لم تنشأ كلها فى زمن واحد، وإنما كانت هذه القضايا ترتبط بالواقع ومشكلاته، فإذا كان فى الواقع مشكلة تتعلق بصحيح العقيدة نهض علماء الكلام لبيان وجه الحق فيها والرد على الأقوال أو الآراء الفاسدة، كما بينا ذلك فى التمهيد التاريخى الذى صدرنا به هذا الكتاب، وهذا يدلنا على أمرين:

١- أن علم الكلام كان مرتبطًا بمشكلات الواقع ارتباطًا عضويًا، فكلما نشأت مشكلة نهض علماء الكلام لبيان وجه الحق فيها والدفاع عن صحيح العقيدة؛ لأن وظيفة علم الكلام كما

فهموها هى: الدفاع عن العقائد الإيمانية بالبراهين العقلية، وهم – رضى الله عنهم – قاموا بمهمتهم هذه خير قيام، وكانوا أمناء على وظيفة علم الكلام كما فهموها، وكما عرَّفوه بذلك.

من هنا فأنا أدعو المشتغلين بعلم الكلام فى عصرنا وأكرر دعواى التى قلتها فى العديد من المناسبات إلى أن نحذو حذو علماء الكلام فى القيام بوظيفة علم الكلام بالدفاع عن العقائد الإيمانية بالبراهين العقلية.

٢- ومن الطبيعى أن تظهر مشكلات فى عصرنا لم تكن موجودة فى عصر النشأة لعلم الكلام، وربما لم يكن لعلماء الكلام السابقين عهد بها؛ لأنها لم تكن موجودة فى عصرهم. ومن حق علم الكلام على المشتغلين به أن يواجه علماؤه هذه المشكلات الجديدة، كما واجه القدامى المشكلات التى ظهرت فى عصورهم، وأن تشتغل قاعات الدرس الأكاديمى يطرح هذه المشكلات الجديدة، ويشغل طلبة العلم بها، بدلًا من الاقتصار على تكرار ما قام به القدماء وإحياء الخلافات التى نشأت بين الفرق من جديد وتعصب كل ذى رأى لرأيه. والتنافس الممقوت الذى نلحظه الآن بين المنتسبين إلى هذه الفرق، وكفانا اختلافًا وتشتتًا إن معظم قضايا علم الكلام – خاصة التى يدور حولها الخلاف بين الفرق – لم تعد موجودة فى الواقع الذى يعيشه المسلم المعاصر الآن، فما جدوى إحياؤها وإحياء

الخلافات المذهبية حولها من جديد، فماذا يفيد الواقع المعاصر الآن من إحياء اختلاف الفرق الإسلامية حول:

أ- خلق القرآن.

ب-علاقة الذات بالصفات.

ج- حلول الحوادث فى ذات الله.

د- الاستطاعة والخلاف حولها.

وللأسف الشديد فإن معظم المتخصصين يتناولون هذه القضايا من منطلقات مذهبية خالصة، تفرق ولا تجمع، تنشر مبدأ الانتصار على الخصم بدلًا من الاعتراف له بأنه مجتهد حتى وإن أخطأ فى اجتهاده فهو مجتهد مخطئ مثاب.

وهذا المنهج الذى يدرس به علم الكلام ينبغى أن يعاد النظر فيه من باب الإخلاص لله وللحقيقة قبل الولاء للشيخ والتعصب للمذهب.

فإن أئمة علماء الكلام على اختلاف توجهاتهم وتعدد فرقهم قد اجتهدوا فمنهم من أصاب ومنهم من أخطأ، ويجب على المنتسبين إليهم أن يفسروا اجتهاداتهم فى ضوء مقاصدهم - وهى بلا شك - مقاصد شريفة وغاياتهم نبيلة، وهى وصف الله بكل كمال يليق به، وتنزيه الله عن كل نقص لا يليق به، وهذا هدف شريف، ومقصد شرعى لكل علماء الكلام، فإذا أخطأ بعضهم فى وسيلة لتحقيق هذا الهدف فلا يكون ذلك الخطأ مدعاة للتشهير به أو النيل من عقيدته، كما هو الشأن فى الجدل التاريخى الذى امتلأت به كتب علم الكلام، حيث لم يسلم الكثير منهم من ذلك.

ومن هنا فأنا أدعو المشتغلين بعلم الكلام أن يبحثوا عن المقاصد والغايات عند المخالفين بدلًا من التركيز على إظهار الأخطاء فى الوسيلة والدليل.

إن دارسة علم الكلام دراسة مقاصدية تعطى الباحث فرصة أن يتلمس المعاذير للمخالف ويعلن موافقته لما يتفق معه فيه ويعذره فيما يختلف معه مادامت المقاصد شرعية والنوايا طيبة والأهداف نبيلة.

فلماذا إذن الإصرار على المعاندة وإظهار المخالفة والنيل من شأن المخالف والحط من قدره، ويعلم أهل هذا الفن أن معظم قضايا علم الكلام – خاصة القضايا الكبرى – تتعلق بأمور غيبية ليس للعقل فيها مقال قطعى إلا التلقى عن الوحى ومحاولة الفهم لما جاء به الوحى – فالخلاف بين الجميع فى فهم النص أو تنزيل النص على الواقع.

وهذا يندرج تحت مسمى وسيلة الفهم، أما مقاصد المتكلمين وغاياتهم من النص فهذا أمر يرتبط بنوايا العالم، وهى من أعمال القلوب لا ينبغى لأحد أن يحكم على من خالفه بناءً عليها؛ لأن شريعتنا لم تأمرنا بتفتيش قلوب الناس حتى نعلم ما فيها أو نحكم عليها.

ومن هنا فأنا أكرر الدعوة للمشتغلين بعلم الكلام أن يهتموا بالدراسة المقاصدية لهذا العلم. فإننا إن فعلنا ذلك – وأسأل الله أن تجد هذه الدعوة من يتبناها – سوف نجد قبول الأعذار للمخالفين أقرب إلى نفوسنا من نتتبع سقطاتهم، وسوف نجد عوامل الالتقاء والتوحد أكثر من عوامل التشتت والتمزق، وعند ذلك سوف تتوحد غاياتنا وتتحدد مقاصدنا ويحل الوئام محل

الخصام، ونبدو أمام العالم خير أمة أخرجت للناس فى سلوكنا وعقيدتنا ووحدتنا، وذلك يدعونا إلى أن نلتفت إلى مشكلات الواقع فنشتغل بها ولا نقتصر على مشكلات الماضى فقط، فنحن الآن أمام مشكلات تحتاج إلى مواجهة – ربما أكثر أهمية من الانشغال بمشكلات الماضى – وإليك نماذج من هذه المشكلات التى هى من صميم علم الكلام:

١- دعوى تاريخية الأديان التى تدرس لأبنائنا فى أقسام علم الاجتماع بمصر، وهى من تراث علم الاجتماعى الغربى.

٢- دعوى تاريخية القرآن التى يدندن حولها محمد أركون، حسن حنفى، نصر أبو زيد. وهى من نفس الحقل المعرفى السابق.

٣- قضية حرية الاعتقاد. وهى من صحيح عقيدتنا.

٤- الإنسان وعقيدة التكريم التى منحها الله له.

وإنى لأدعو المولى جل وعلا أن يجعل عملنا هذا خالصًا لوجه الكريم وأن يجعله مقبولًا لديه، وأن ينفع به الإسلام، ويجمع به كلمة المسلمين ... آمين.

الإمام الأشعرى وتطور المذهب

تمهيد تاريخى

مولده ونشأته:

هو أبو الحسن على بن إسماعيل، وينتهى نسبه إلى أبى موسى الأشعرى، ولد سنة ٢٦٠هـعلى أرجح ما لدينا من روايات، توفى والده وهو صغير وأوصى بابنه أبى الحسن إلى زكريا الساجى الذى كان إمامًا فى الحديث والفقه فى عصره، ونقل السمعانى فى كتابه الأنساب عن ابن الكلبى: أن الأشعرى لقب بذلك اللقب؛ لأن أمه ولدته أشعر، وكان مولده بالبصرة وإقامته فى بغداد، وظل بها إلى أن توفى سنة ٣٢٤هـعلى أصح الروايات أيضًا[١].

أخذ الفقه عن أبى إسحاق المروزى، فكان يجلس الأشعرى أيام الجُمَع فى حلقة المروزى فى جامع المنصور يتلقى عنه ويأخذ منه الفقه الشافعى حتى برع فيه، كما تعلم أيضًا على يد الساجى الذى أوصاه والد الأشعرى بابنه، وحدث عنه، كما روى عن الجمحى، وابن نوح، والمقرى، والضبى البصريين، كما أخذ علم الكلام عن أبى على الجبائى[٢].

---

(١) انظر: تاريخ بغداد للبغدادى ٣٤٧/١١، تبيين كذب المفترى لابن عساكر ط دمشق سنة ١٣٤٧هـص٣٥ وما بعدها.

(٢) انظر عن الأشعرى وحياته وأطوارها الفكرية، الفهرست لابن النديم ط فلوجل ص١٨١، وفيات الأعيان ٤٤٦/٢، تاريخ بغداد ٣٤٦/١١، طبقات الشافعية ٢٥٠/٣.

يقول ابن النديم: وكان الأشعرى معتزليًّا، ثم تاب من القول بالعدل، وخلق القرآن فى المسجد الجامع بالبصرة فى يوم الجمعة. ورقى كرسيًّا ونادى بأعلى صوته: من عرفنى فقد عرفنى، ومن لم يعرفنى فأنا أعرفه نفسى. أنا فلان بن فلان، كنت قلت بخلق القرآن، وأن الله لا يرى بالأبصار، وأن أفعال الشر أنا أفعلها وأنا تائب مقلع عن كل ذلك. وبعض المراجع يحدد الفترة التى مكثها الأشعرى على مذهب الاعتزال بأنها كانت أربعين عامًّا، وروى ابن عساكر روايات كثيرة حول هذه القضية وعن سبب تحول الأشعرى عن مذهب المعتزلة، وأنها كانت بسبب رؤيا رأى فيها النبى ﷺ، وأمر الأشعرى فيها أن ينصر مذهب أهل الحديث وسلف الأمة؛ لأنه أعدل المذاهب وأولاها بالحق[1]، ومن تاريخ هذه الرؤيا تحول الأشعرى عن مذهب المعتزلة إلى مذهب المحدثين، وأخذ يدافع عنه ويصنف فيه من أجل نصرته.

ومن الملاحظ أن أيًّا من هذه المراجع لم يحدد تاريخ هذه الرؤيا ولا تاريخ تحول الأشعرى عن مذهب المعتزلة ولم يذكر واحد منهم هل هذه الرؤيا وقعت للأشعرى فى حياة أبى على الجبائى أو بعد وفاته. مما فتح بابًا للاجتهاد والرأى فى ذلك.

على أن بعض المراجع تربط بين تحول الأشعرى عن الاعتزال والمناظرة التى جرت بينه وبين أبى على الجبائى حول قضية الصلاح والأصلح، وقد ذكرها السبكى فى الطبقات[2] كما ذكرها غيره من المتكلمين، والمناظرة

(١) راجع تبيين كذب المفترى ص٣٨ وبعدها، طبقات الشافعية للسبكى ٢/٢٤٨.

(٢) طبقات الشافعية ٢/٢٥٠.

مشهورة فى كتب المتكلمين وفيها سأل الأشعرىُ الجبائىَ عن الصلاح والأصلح فى مصير ثلاثة: مؤمن، وكافر، وصبى.

فقال الجبائى: المؤمن من أهل الدرجات، والكافر من أهل الهلكات، والصبى من أهل النجاة.

فقال الأشعرى: فإن أراد الصبى أن يرقى إلى درجات عليا هل يمكن؟

فقال الجبائى: لا؛ لأن المؤمن نال درجته بالطاعة، والصبى لا طاعة له.

قال الأشعرى: فإذا قال الصبى: التقصير ليس منى فلو أحييتنى لأطعتك؟

قال الجبائى: يقول الله، كنت أعلم أنك لو بقيت لعصيت فتدخل النار، فراعيت مصلحتك وأمتُّك قبل سن التكليف.

قال الأشعرى: فلو قال الكافر يا رب ولِمَ لمْ تُمتنى قبل سن البلوغ حتى لا أعصاك، وهلا راعيت مصلحتى كما راعيت مصلحته؟ فانقطع الجبائى عن الجواب.

وقد رويت هذه المناظرة في أكثر من مرجع[1]، وكلها تذكر مفارقة الأشعرى للجبائى على أثر ذلك، ثم بدأ يصنف فى الرد على المعتزلة، ويبيِّن فساد مذهبهم بعد أن ظل يأخذ به أربعين عامًا من عمره.

وبمراجعة التواريخ الخاصة بمولد الأشعرى ومقارنتها مع تاريخ مولد الجبائى ووفاته، ومراجعة مؤلفات الأشعرى نفسه يبقى فى النفس شيء من تقبل رواية بعض كتب الطبقات أن الأشعرى ظل أربعين عامًا على مذهب المعتزلة، وتتلمذ فيها على الجبائى الذى تزوج بأمه بعد وفاة أبيه.

---

(١) انظر مثلًا: وفيات الأعيان ٣/٣٩٨ ط القاهرة رقم ٥٧٩.

فالجبائى ولد سنة ٢٣٥هـوتوفى سنة ٣٠٣هـ[1]، والأشعرى ولد سنة ٢٦٠هـأى بعد مولد الجبائى بما يساوى خمسًا وعشرين عامًا، ولم تذكر المراجع شيئًا عن تاريخ وفاة والده، ولا عن تاريخ زواج الجبائى بأمه، غير أنها ذكرت وصية أبيه بابنه إلى الساجى. فالمتوقع مثلًا أن يكون الأشعرى دون العاشرة من العمر حين وفاة والده، ثم تذكر المراجع أنه تعلم على يد رجال من فقهاء الشافعية ومن المحدثين سبق ذكر أسمائهم منذ قليل، فإذا كان الأمر كذلك، فلنا أن نتوقع نبوغ الأشعرى على يد الفقهاء والمحدثين قبل زواج الجبائى بأمه، وهذه الفترة لا تقل عن خمسة عشرة عامًا إن لم تكن أكثر من ذلك، أى إلى ما بعد سنة ٢٧٥هـحسب ما عليه الروايات التاريخية من أن مولد الأشعرى كان سنة ٢٦٠هـ والمترجمون له ربطوا بين زواج الجبائى بأمه وولائه لمذهب المعتزلة، ولما كانت وفاة الجبائى سنة ٣٠٣هـ وميلاد الجبائى سنة ٣٠٣هـ وميلاد الأشعرى سنة ٢٦٠هـاستنبطوا من ذلك أنه ظل على الاعتزال أربعين عامًا من عمره.

ونحن من جانبنا لا نرى ضرورة لهذا الربط الذى لا مبرر له، فليس من الضرورى أن يكون الأشعرى ظل أربعين عامًا على الاعتزال لمجرد أن الجبائى تزوج بأمه فى سن مبكرة.

والرسالة التى بين أيدينا تلقى لنا الضوء على تحديد موقفنا من هذه القضية، فإن الأشعرى قد ذكر فيها أن أهل الثغر كانوا قد التمسوا منه ذكر

---

(١) ابن خلكان ٣٩٩/٣، معجم البلدان لياقوت الحموى ١٣/٢، الفهرست ص٢٥٦ ط مصر. طبقات المعتزلة ص٨٠.

الأصول التى عليها أهل السنة والجماعة فأجابهم على سؤالهم بهذه الرسالة التى بين أيدينا، وكان ذلك فى سنة ٢٩٧هـ

وفيها بيان لفساد مذهب المعتزلة ورد عليهم ووصفهم بالبدعة والضلال، فإذا كانت مرحلة النضج الفكرية للأشعرى تبدأ من سن الخامسة عشرة من عمره، أى بعد سنة ٢٧٥هـ وكان قد بدأ يرد على المعتزلة من تاريخ رسالة أهل الثغر التى نحن بصددها أى سنة ٢٩٧هـفتكون المساحة الزمنية المحصورة بين نبوغه الفكرى ورده على المعتزلة هى ٢٢ سنة، فكيف يقال إنه ظل على الاعتزال أربعين عامًا تتلمذ فيها على الجبائى؟ مع العلم أنه بدأ يرد على المعتزلة من تاريخ ٢٩٧هـ وهذا حسب المؤلفات التى ذكر فيها الأشعرى تاريخ تأليفها، وربما يكون هناك مما لم يصلنا ما يتضمن تاريخًا أقرب مما هو مذكور فى رسالة أهل الثغر، فالأمر إذن يحتاج إلى إعادة نظر من الباحثين فى تطور حياة الأشعرى الفكرية.

موقع الرسالة بين مؤلفات الأشعرى:

نقل ابن عساكر فى كتابه التبيين ثبتًا كبيرًا بمؤلفات الأشعرى، نقله عن الأشعرى نفسه فى كتابه العمدة الذى لم يصلنا ولم نعرف شيئًا عنه غير ما ذكره ابن عساكر، وقد نقل ابن عساكر هذا الثبت عن ابن فورك من كتابه طبقات المتكلمين ذكر فيها ما يقرب من سبعين مؤلفًا ليس من بينها رسالة أهل الثغر، ونقل عن ابن فورك أن هذه المؤلفات المذكورة قد ألفها الأشعرى قبل سنة ٣٢٠هـ

ثم ذكر ثبتًا آخر نقله عن ابن فورك ذكر فيه ستًا وعشرين مؤلفًا

وضعها الأشعرى بين سنة ٣٢٠هـوسنة ٣٢٤ التى هى سنة وفاته. ويذكر ابن عساكر أن هذين الثبتين المذكورين هما ما ذكرهما ابن فورك فى كتابه طبقات المتكلمين.

ثم ذكر ابن عساكر بعد ذلك أسماء ثلاثة لم يذكرها ابن فورك فى كتابه هى:

١- رسالة الحث على البحث.

٢- رسالة فى الإيمان.

٣- جواب مسائل كتبِ بها إلى أهل الثغر فى تبيين ما سألوه عن مذهب أهل الحق.

فالرسالة التى نحن بصددها إذن لم يذكرها باسمها ابن فورك فى الثبتين اللذين نقلهما عنه ابن عساكر، ولكن إذا أمعنا النظر فيما ذكره ابن فورك بعد روايته للثبت الأول الذى ذكر فيه ما يقرب من سبعين مؤلفًا نجده يقول بعد ذلك مباشرة:

(هذه هى أسامى كتبه التى ألفها إلى سنة عشرين وثلاثمائة سوى أماليه على الناس، والجوابات المتفرقة عن المسائل الواردة من الجهات المختلفة، وسوى ما أملاه على الناس مما لم يذكر أساميه هاهنا، وقد عاش بعد ذلك إلى سنة ٣٢٤هـ

فابن فورك ينص هنا صراحة أن أسماء هذه الكتب التى ذكرها فى ثبته الأولى ليست هى كل ما ألفه الأشعرى حتى سنة ٣٢٠هـوإنما هناك مسائل وإجابات وأمالى كانت ترد إلى الأشعرى من جهات مختلفة، وكان يرد عليها

بأجوبته التى لم يذكرها.

ورسالتنا التى نحن بصددها هى من النوع الذى أملاه المؤلف خلال هذه الفترة ولم يذكر اسمها؛ لأنها إجابة على سؤال ورد إليه من أهل الثغر بباب الأبواب فليست مؤلفًا مستقلًا حتى يذكره باسمه ضمن المؤلفات التى ذكرها.

وهذه الرسالة قد أجاب بها المؤلف على مسألة أهل الثغر قبل سنة ٣٠٠ يقينًا؛ لأنه قد صرح فيها بقوله: «... ووقفت أيدكم الله على ما ذكرتموه من إحمادكم جوابى على المسائل التى كنتم أنفذتموها إلىّ فى العام الماضى وهو سنة ٢٩٧هـ(لوحة رقم ا ب) من المخطوط، فتكون الرسالة سنة ٢٩٨هـ بالتحديد. وهذا يؤكد لنا أن الرواية القائلة بأن الأشعرى ظل على الاعتزال أربعين عامًا تحتاج إلى إعادة نظر وتمحيص؛ لأن تواريخ مؤلفات الأشعرى تؤكد عكس ذلك تمامًا مما يترتب عليه عدم قبول هذه الرواية.

نسبتها إلى المؤلف:

وقد تشكك بعض المستشرقين فى هذه الرسالة[1] لما فيها من ذكر التاريخ ٢٩٧هـ، ذلك أن التاريخ مكتوب فى المخطوط ٢٦٧هـعلى سبيل الخطأ من الناسخ وصحته كما ذكرنا هو ٢٩٧هـ وهذا لا يعنى أبدًا الشك فى صحة نسبة الرسالة للأشعرى. وقد ذكر الدكتور عبد الرحمن بدوى فى كتابه

(١) راجع ما ذكره د/ عبد الرحمن بدوى عن آلار وتشككه فى الرسالة فى كتابه مذاهب الإسلاميين ط بيروت سنة ١٩٧١م ص٥٢٢.

مذاهب الإسلاميين[1] أن آلار قد شك فى هذه الرسالة وبنى شكه فيها على أمور ثلاثة:

١- أن التاريخ المذكور لا يتفق مع عمر المؤلف؛ إذ لو صح لكان عمره حينئذ سنة ٢٦٧ سبع سنوات. ونحن من جانبنا قد بينا أن صحة هذا التاريخ هو ٢٩٧هـ، وهو نفسه قد أشار إلى ذلك وأنه سنة ٢٩٧هـ وليس سنة ٢٦٧هـ

٢- أن الأشعرى لم يذكر فى الرسالة شيئًا عن المعتزلة ولا عن آرائهم. ونحن من جانبنا نرى خطأ هذا الزعم من جانب وعدم فهم صاحبه لأسلوب المؤلف من جانب آخر، ذلك أن الأشعرى قد ذكر المعتزلة فى أكثر من موضع فى هذه الرسالة. ذكرهم بأوصافهم وألقابهم وليس بأسمائهم، فهم عنده (القدرية، المبتدعة وهم مجوس هذه الأمة) الخ الأوصاف المذكورة فى الرسالة والتى يقصد بها المعتزلة، فكيف يقال: إنه لم يذكرهم؟ فهذه دعوى غير صحيحة من جانبه.

٣- الأمر الثالث: دعواه أن الأشعرى لم يقرر موقفه من قضية خلق القرآن صراحة، وإنما تحفظ فى ذلك. وهذه الدعوى لا مبرر لها، ذلك أن الرسالة لم تكتب للرد على المعتزلة فى قولهم بخلق القرآن، وإنما أجاب بها على سؤال ورد من أهل الثغر عن أصول أهل السنة وسلف الأمة. وقضية خلق القرآن ليست من الأصول ولم يكن البحث فيها يشغل سلف الأمة لا نفيًا ولا إثباتًا؛ لأنها قضية

(١) وانظر رد الدكتورة فوقية حسن على هذه الدعوى فى الإبانة ط دار الأنصار (المقدمة).